الحسين عليه السلام

عقل الأمة



السيد محمد علي العلوي





تأليف

السيد محمد علي العلوي

■ هوية الكتاب:

* الكتاب : الإمام الحسين عليه السلام عقل الأمة.

* المؤلف: السيد محمد علي العلوي.

* الطبعة: الأولى ١٤٣٣هـ\٢٠١٢م

* التنسيق والإخراج الفني: الكليم للتصميم

mohd.he@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء..

"فجعل الله الايمان تطهيرًا لكم من الشرك، والصلاة تنزيهًا لكم عن الكبر، والزكاة تزكيةً للنفس ونماءًا في الرزق، والصيام تثبيتًا للاخلاص، والحج تشييدًا للدين، والعدل تنسيقًا للقلوب، وطاعتنا نظامًا للملة، وامامتنا أمانًا للفرقة، والجهاد عزًا للإسلام، والصبر معونةً على استيجاب الاجر، والامر بالمعروف مصلحةً للعامة وبر الوالدين وقايةً من السخط وصلة الارحام منساةً في العمر ومنماةً للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضًا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرًا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهًا عن الرجس، واجتناب القذف حجابًا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابًا بالعفة، وحرم الله الشركَ

إخلاصًا له بالربوبية، فاتقوا الله حقِ تقاته، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون، واطيعوا اللهِ فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماءُ"

بجدارة لا مثيل لها، رسمت الصديقة الطاهرة معالم دولة العدل والكرامة وعزة الإنسان..

إليها أهدي هذه الأوراق راجيًا من الله الكريم القبول، ومنها عليها السلام الشفاعة..

السيد محمد علي العلوي

مقدمة

نتأمل الحسين عليه السلام فنجده الشخصية التي جمعت في نهضتها الكربلائية كل مفاصل التاريخ البشري، فلقد كانت كلمته (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي) شاملة كافة أبعاد الصراع بين الحق والباطل، وهو الصراع الذي انطلق منذ رفض إبليس السجود لعظمة النور في آدم عليه السلام.

كانت كربلاء الحسين فكرًا ومنهجًا في أطروحة متكاملة جسدت الهدى في أبهى صوره الإنسانية، ولأنها كربلاء التاريخ والحاضر والمستقبل فإنها للمؤمن قرآن حياة يترجم قرآن ليلة القدر العظيمة، فإنه إن أراد فهم ما بين الدفتين فهمًا موضوعيًا عمليًا لجأ إلى الحسين عليه السلام في نهضته الإلهية ليفوز بإحدى الحسنيين..

إما النصر وإما الشهادة، ولا شك في أن الشهادة نصر بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

انطلاقًا من هذه الرؤية شرفني الله تعالى بتوفيقاته فكتبت هذه السطور فيما أراه موضوعًا للعمل على نهج الحسين عليه السلام الكربلائي، ومن الله ألتمس الأجر للإصابة والتجاوز عن الخطأ وتقويمه برحمته.

المؤلف

الفكرة من الكمون إلى التمظهر الإجتماعي

التحول بالسلوك من نطاق الفكرة أو الممارسة الفردية إلى ظاهرة اجتماعية يجعل منها قوة وجودية عصية على الزوال، بل وترفض شريحتها الاجتماعية الاقتراب منها بنقد أو نقض، فالفكرة قد تكون في منتهى المتانة العلمية والمنطقية، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون في منتهى الضعف في ميدان التطبيق والممارسة، في حين أن فكرة أخرى قد تكون العكس من ذلك تمامًا، فبالرغم من ضعفها ووهنها علميًا ومنطقيًا إلا أنها قوية ذات بأس وجودي على مستوى التطبيق والممارسة، ومن هنا نخلص إلى أن الفكرة لا معنى لقوتها ومتانتها العلمية إذا لم تكتسب قوة أخرى من خلال انتشارها العملي في بعد العمل والسلوك، وهذا ما يعمل عليها الخطاب القرآني في ترويجه

لمفاهيم الحق السماوية فنجد خطابه موجهًا دائمًا إلى مجموع المؤمنين أو المسلمين أو عموم الناس:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5]

١- سورة البقرة ٢٠٨
٢- سورة البقرة ٢٥٤
٣ - سورة آل عمران ١٠٢
٤ - سورة البقرة ٢١
٥ - سورة الجمعة ٩

عمليًا نرى الكثير من الشباب يحذرون من الظهور أمام أقرانهم في ثوب التدين والالتزام حتى لا يكونوا بينهم شاذين؛ فالغالب منهم قد أخذتهم أمواج الدنيا بشتى ألوانها، فمسألة الموضة في اللباس وقصة الشعر، ومسألة التسكع في المجمعات التجارية ودور السينما، ومسألة أن تكون لكل شاب فتاة صديقة، كل ذلك أصبح من الظواهر الاجتماعية التي يصعب مقاومتها فضلًا عن محاربتها، بل وأكثر من ذلك أن الآباء اليوم يعلنون استسلامهم لإرادات أبنائهم مبررين ذلك بصنوف المبررات وأشكالها..!

إنه من السهل جدًا توجيه الشباب وفي فترة قياسية إلى قصة شعر جديدة يسلمون رؤسهم لها حتى لو كان يطلق عليها اسم (قصة الحمارة)!! في حين أنه من الصعب جدًا توجيه الشباب إلى صلاة الجماعة بالرغم من قرآنية خطابها، ولذلك أسباب كثيرة من أهمها التحول بالسلوك من فكرة إلى ظاهرة اجتماعية، وهمة أهل الضلال والفساد في هذا المضمار مضاعفة عشرات المرات عن همم المتدينين، كيف لا والبين واضح بين تعلق الناس

بوعود الدنيا وبين التعلق بوعود الآخرة؟؟!!

حقيقة من القرآن الكريم:

شكلت فكرة فيلسوف اليونان أفلاطون عقدة في نفوس الكثيرين خصوصًا أولئك الداعين لما يظنونه واقعية وبعدًا عن المثالية، في حين أن الأمر ليس كما يحسبون أبدًا، فعندما ننادي إلى مجتمع مثالي فإننا لا ننظر إلى عموم المجتمع بقدر نظرنا إلى الثلة المؤمنة التي يرتجى الخير منها، وهذا ما نفترضه دائمًا في أتباع أهل البيت عليهم السلام من الشيعة الإمامية، فتكوين مجتمع قريب من المثالية ممكن جدًا فيمن يتوقع منهم الاستعداد للسير على طريق سادتهم من آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

تركيزنا في تكوين المجتمع (المثالي) على هذه الفئة التي يصرح بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[1].

---

١ - سورة العصر

الحقيقة أن المجتمع الإنساني مجتمع يغلب على اهله الخسران والضياع، وعلى هذا يقسم الله تعالى بأشرف عصر وهو عصر العدل والإنصاف الذي يتحقق تحت راية إمامنا المهدي المنتظر (روحي فداه)، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في معنى ﴿**وَالْعَصْرِ**﴾: «العصر عصر خروج القائم عليه السلام»[1]، إلا أن العزاء في المستثنى وهم الذين ﴿**آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾، وبحسب الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنهم أولئك الذين آمنوا بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.. هذا المفترض وهو المرتجى منهم، ولذلك فالسعي لتحقيق المجتمع المثالي وبتوجيه من القرآن الكريم إنما هو فيهم وبهم، وليس من مشكلة في هذا الطريق أكبر وأعصى من مشكلة الهمة وتدنيها في النفوس، والأكثر غرابة في الأمر أن ذلك يبرر بفهم خاطئ جدًا لبعض الروايات الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام، ومفادها أنه لا استقامة للعدل والإنصاف إلا على يد الإمام

١- تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج5 ص٦٦٦

المهدي المنتظر (روحي فداه)، ولذلك –وبحسب فهم الكثير من المؤمنين– فإنه لا معنى للسعي والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق.

لقد أخذت هذه الأخلاقية الإنهزامية مساحة كبرى في ثقافة المؤمنين من الشيعة، وكان ذلك مقدمة فاعلة في انصرافهم للدنيا وأمور معاشهم فَصَعُبَ أمرُ الإصلاح وتصحيح المفاهيم، خصوصًا وأن المروج لأخلاَقية الانهزامَ أناسٍ لهم وزنهم بين أبناء المجتمع، ولأضرب مثالًا واقعيًا:

لا شك في أن الإسلام بقرآنه وعترة نبيه يدعو إلى العقل والحكمة والفكر والرقي الثقافي، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، بالإضافة إلى الاستدلالات العقلية التي ينهض في قبالها ناقض على الإطلاق، ولكن الغريب في الأمر أن شريحة لا يستهان بها من المساهمين بقوة في إحياء شعائر الله في ذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام يذهبون بأمر الأحياء عريضًا فتظهرٍ منهم سلوكيات لا يقرها الإسلام لا أخلاقياً ولا سلوكياً، ولا يبعد أن تكون ببعض العناوين

محرمة شرعًا، وإن استوقفتهم أجابوك بقوة: نحن على مسلك عابس الشاكري حين قال: «حب الحسين أجنني»!!

في الواقع أن عابسًا لم يقل هذه العبارة على الإطلاق، ولكن أحد الخطباء قبل ما يقارب المئة سنة أوردها في كتاب له لتصوير حالة ما، ولكنها عبارة تحولت إلى (ظاهرة) تموجت تموجًا غريبًا وتحولت إلى ثقافة يدافع عنها بشراسة، حتى أن من يحاول مناقشة أمر هذه المقولة يرمى مباشرة بأشكال من التهم ثم يحول أمره إلى قائمة طويلة عنوانها (المحاربون للشعائر الحسينية)!!

قالوا بأن التعبير بـ (الجنون) إنما هو على نحو المجاز.

أقول: من شروط المجاز وجود المناسبة، فما المناسبة في المقام؟

وقال بعض: إن هذا الجنون هو قمة العقل.

أقول: وأي تصوير هذا الذي يجمع فيه بين النقيضين جمعًا صريحًا، وما المراد من هذا الجمع

الغريب؟

كل ما انتجته هذه المقولة المكذوبة على بطل من أبطال كربلاء الحسين عليه السلام وهو عابس بن شبيب الشاكري أنها اتخذت ذريعة لكل من أراد ممارسة أدوار من التفريغ النفسي في مواكب الشعائر الحسينية، والحق أنه تفريغ أضر بنا ثقافيًا حتى ظهرت أصوات نشاز تقدم حب الحسين عليه السلام على الصلاة الفريضة التي قررها المعصوم عليه السلام عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها، وما كانت هذه التوجهات المائعة إلا نتيجة لتمييع القضية الحسينية وتحويلها من قضية إلهية تتجسد فيها كل قضية الوجود البشري إلى قضية تنتهي بانتهاء موسم الإحياء!!

أقولها بكل واقعية: من الصعب جدًا معالجة هذه الثقافة المغلوطة، وكيف تعالج ومنابر الخطباء والمنشدين تتبنى نظرية (الجنون الحسيني)، والحال أن العواطف تخدم هذا التيار بكل قوة، فأي مقال أو كتاب أو حتى موسوعة علمية تؤثر في موجة (جنونية) تندفع من بين مئات الألوف بل الملايين من المؤمنين الذين

يشاركون في إحياء الشعائر؟

لا حل إذًا إلا بالتحول بفكرة تصحيح المفاهيم الخاطئة إلى ظاهرة تقاوم ما يقابلها من مفاهيم غير صحيحة وتعمل على تصحيحها بكل دقة ومعٍ الإصرار على عدم التنازل عن الدقائق فضلاً عن العناوين العامة.

بالطبع فإن القضية لا تتوقف على مقولة (حب الحسين أجنني)، إذ أن هذه ليست إلا نتاجًا لمقدمات سابقة أغلبها يريد من المؤمن الشيعي الانتقال من منطقة الروح الوثابة الحاضرة لتكرار معالم كربلاء في سوح جهاد أخرى، إلى منطقة الروح الخاملة التي تنتظر الفرج المشروط دون التقدم حتى خطوة واحدة على طريق تحقيق شروطه، وهذا جواب لمن يقول: تعيش الشعوب اليوم ثورات عارمة قد عصفت بأنظة حكم وهي بأخرى عاصفة.

نعم، إن العقلية التحليلية تأبى قبول الفصل بين سلوك وآخر، وثقافة وأخرى، فهي كلها تتركب لتشكل ثقافة معينة وهي في المقام

ثقافة الإنهزام المبرر.

لقد كانت النهضة الحسينية المباركة لإكمال العقول واستثارة دفائنها «إن حب الحسين عليه السلام يغذي العقول والأرواح، وأن العقول تكتمل وتنضج بحب الحسين عليه السلام، وحين يكتمل العقل يرتفع مستوى الإيمان..»[1].

١ – التجلي الأعظم – سيد فاخر موسوي ص18

أقدم مشاكل المجتمع البشري مشكلة الصراع بين العقل والشهوة

كان من الممكن جدًا أن يتعلم قابيلُ الإخلاص من هابيل فينحو جانب الصدق في التعامل مع الله سبحانه وتعالى، ولكنها النفس وشهواتها غلبت العقل في لحظة حسم فدفعت بقابيل من مستنقعِ المرض النفسي لينتقم من مرضه في أخيه قتلا..!! إنه الحسد حين يسيطر على الإنسان فيصيبه بالعمى ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[1]، وهو نفسه قد تكرر ملايين المرات في ملايين البشر، وكان أبرزهم أولئك الذين أصروا على الانتقام من انبياء الله ورسله الذين ضحوا بكل

١ – سورة الإسراء ٧٢

شيء في سبيل دعوة الحق السماوية، ولم يكن جرمهم إلا أنهم قالوا ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾[١].

إنها دعوة إلا العدل والإنصاف والتراحم والتكافل بعبادة رب واحد أحد لا شريك له ولا مثيل، ولكنها بالنسبة لشهوة الجاه والملك والظهور دعوة للمساواة بين الغني والفقير، وبين السيد والعبد، وبين المالك والمملوك، مساواة في الإنسانية والقيمة الحقيقة، وهذا ما لا ترتضيه الشهوات ولو على حد المقصلة، ولذلك ثارت نعرات الإستبداد لتعمل في الأنبياء والرسل والمصلحين تقتيلًا وذبحًا دون أن تأخذهم في شياطينهم لومة لائم من لسان حق ينطق في وجه سلطان جائر.

مشكلة واقعية جعلت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الهدى المعصومين عليهم السلام يبشرون المؤمنين

١ – سورة النساء ٣٦

بالبلاء ما داموا على السراط مستقيمين، فقد روي أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال:

يا رسول الله إني أحب الله.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: استعد للبلاء.

فقال: إني أحبك.

فقال: استعد للفقر.

فقال: إن أحب أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال: استعد للأعداء[1].

وفي هذه الرواية دليل واضح جدًا على أن البلاء والفقر والأعداء مما يلازم الإيمان الحقيقي بما أفاده القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[2]، ومنشأ هذه الملازمة قوة الباطل الذي يسكن النفوس فيمرضها ويراكم فيها جبالاً من العقد النفسية التي تحول من تسكن صدره إلى وحش يفترس الخير ويلعب بأنيابه في

١ – الخصائص الفاطمية – الشيخ محمد باقر الكجوري ج٢ ص٤٥٣

٢ – سورة النساء ٥٩

جسد الصلاح وأيادي الإصلاح، والحال أن من ينتظر منهم القيام في وجه هذه التيارات الشيطانية قد رقدوا على تلال من الانهزام ودفنوا رؤوسهم بين كثبان التخدير فكان الحال في حاجة إلى هزة عنيفة تحرك في الضمائر روح السماء وتشعل في القلوب معنى الإباء، وان (الموت سعادة والعيش مع الظالمين برمًا)، أي أن الإنسان بين خيارين لا ثالث لهما، فإما العيش بالذل والمهانة مع الظالمين، وإما الموت بالسعادة على طريق الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، وهذا يحتاج إلى أن ينظر العامل المخلص الصادق ونظره إلى الجهة التي يعمل من أجلها، وليس إلى كم التابعين وجماهير المحبين، ولذلك أسس الإمام الحسين عليه السلام لقاعدته الرائعة فقال: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»[1]، ولكنها قلة صمدت في كربلاء أمام حشود من الجيوش الأموية اليزيدية المدججة بأسلحة قاتلة تحملها قلوب ذليلة للدنيا وشهواتها، فكان النصر

---

١ - بحار الأنوار - المجلسي ج٤٤ ص٣٨٣

الحقيقي في حمل رؤوس الشهداء على الرماح، وفي سبي النساء وتيتيم الأطفال..

لقد كانت الأمة في حاجة ماسة لطوفان كربلاء لعلها تدرك عظم الخطأ الذي وقعت فيه وعاشته ومارسته منذ اليوم الأول من رحيل القائد المعظم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا، وذلك عندما هجرت وصيته بل وعارضتها إما بالفعل المباشر كما كان في سقيفة بني ساعده وتوابعها، وإما بالسكوت خوفًا على القوت!!



منعطف كربلاء

أنقل خطاب نبي الله نوح عليه السلام فيما يخص موقف قومه من دعوته، وفيه الكفاية إن شاء الله تعالى..

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *

يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالا﴾[1]

عبادة الله الواحد الأحد، التقوى، الطاعة لخليفة الله في أرضه، وهذا عاصم من عذاب مهين، ومن جهة أخرى فأن جزاءه الخير الكثير، فلماذا لم يستجب قومه لدعوته؟ ولماذا وضعوا أصابعهم في آذانهم، والحال أنه لم يترك طريقًا لهداهم إلا واتبعه؟

---

١ – سورة نوح ١ – ٢٤

القضية في أن هذا الخير الكثير ينال الجميع بشرط التوحيد والتقوى وطاعة خليفة الله في الأرض، وبالتالي لا يكون فرقًا بين سيد وعبد طالما أن المعيار هو هذا الذي يدعو إليه نوح عليه السلام، ولا شك في أن النفس الشهوية التي تسيطر على السلاطين وأذيالهم تأبى ذلك، ولم يتغير في الأمر شيئًا طوال دعوة الأنبياء والرسل على مر التاريخ حتى جاء الدور للدعوة المحمدية التي تميزت بانتشارها السريع بزخم فكري لا نظير له أبدًا، وبقي حال التمدد الثقافي للإسلام على ما هو عليه في ظل قيادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو النبي المرسل الذي يمثل للناس حلقة الوصل بينهم وبين الخالق سبحانه وتعالى **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾**[1]، هذا بالإضافة إلى أن مكانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كصاحب الرسالة الأصل تختلف عن مكانة غيره من الصحابة حتى لو كان المعصوم علي بن أبي طالب عليه السلام، وهنا كانت نقطة

---

١ – سورة النساء ٦٤

التحول في مسيرة الحق التي انطلق بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ أنه وبمجرد رحيله عن هذه الدنيا امتدت أعناق المنافقين بألسنة لاهثة وأعين في أمهات رؤوسها إلى (كرسي الملك) ناظره..

أرجو من القارئ الكريم التأمل بدقة في هذا المقطع من دعاء الندبة العظيم:

«وَكانَ بَعْدَهُ (علي بعد محمد عليها السلام) هُدىً مِنَ الضَّلالِ وَنُوراً مِنَ الْعَمى، وَحَبْلَ اللهِ الْمَتينَ وَصِراطَهُ الْمُسْتَقيمَ، لا يُسْبَقُ بِقَرابَةٍ في رَحِمٍ وَلا بِسابِقَةٍ في دينٍ، وَلا يُلْحَقُ في مَنْقَبَةٍ مِنْ مَناقِبِهِ، يَحْذُو حَذْوَ الرَّسُولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَآلِهِما)، وَيُقاتِلُ عَلَى التَّأْويلِ وَلا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، قَدْ وَتَرَ فيهِ صَناديدَ الْعَرَبِ وَقَتَلَ اَبْطالَهُمْ وَناوَشَ ذُؤْبانَهُمْ، فَاَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ اَحْقاداً بَدْرِيَّةً وَخَيْبَرِيَّةً وَحُنَيْنِيَّةً وَغَيْرَهُنَّ، فَاَضَبَّتْ عَلى عَداوَتِهِ وَاَكَبَّتْ عَلى مُنابَذَتِهِ، حَتّى قَتَلَ النّاكِثينَ وَالْقاسِطينَ وَالْمارِقينَ، وَلَمّا قَضى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ اَشْقَى الْآخِرينَ يَتْبَعُ اَشْقَى الْاَوَّلينَ، لَمْ يُمْتَثَلْ اَمْرُ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فِي الْهادينَ بَعْدَ الْهادينَ، وَالْاُمَّةُ مُصِرَّةٌ عَلى مَقْتِهِ مُجْتَمِعَةٌ عَلى قَطيعَةِ رَحِمِهِ وَاِقْصاءِ

وُلْده الّا الْقَليلَ مِمَّنْ وَفى لِرِعايَةِ الْحَقِّ فيهِمْ، فَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وَسُبِيَ مَنْ سُبِيَ وَأُقْصِيَ مَنْ اُقْصِيَ وَجَرَى الْقَضاءُ لَهُمْ بِما يُرْجى لَهُ حُسْنُ الْمَثُوبَةِ، اذْ كانَتِ الأَرْضُ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ، وَسُبْحانَ رَبِّنا انْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً، وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَ هُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ».

لم يرفض الناس عليًا عليه السلام، ولكنهم رفضوا حالة العدل التي يرفع رايتها، العدل بمختلف جوانبه وأبعاده، وليس العدل في الماديات فقط، وهذا ما يؤزم القضية أكثر وأكثر، فالإسلام يرى أن رأس العدل التقوى، والتقوى محلها كل زاوية ومفصل من زوايا ومفاصل الحياة، فلا عدل إلا بتوزيع الثروات بما يأمر الله تعالى، ولا عدل إلا بحجاب النساء وعفتهن، ولا عدل إلا بمروءة الرجال، ولا عدل إلا بتدين الكبار والصغار..

يرى الظالمون والمفسدون أن هذه الراية العلوية تقيد الحريات وتفرض سلطانًا على سلطان من يدعون الصحبة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وللتخلص من ذلك وضعت الأحاديث

المكذوبة في رفع الصحابة إلى مستوى العصمة تحت مصطلح مستحدث هو مصطلح (عدالة الصحابة)، فكانت أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم حجة كالمعصوم بالضبط وإن لم يصرحوا بذلك **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾**[1]، والنتيجة أن تمت البيعة لابن أبي قحافة بما أسموه شورى، ثم انتقلت لعمر بالوصية، ومن بعده لعثمان بمزيج من الشورى والوصية، ومن بعد علي عليه السلام استقرت قرابة القرن في بني أمية بنظام التوريث، ثم بني العباس حتى القرن السابع الهجري، ولا يجرؤ أحد من غير الشيعة على معارضة السلطة، والسبب أن كل من يتسنم منصب الحكم يكون بحسب ما كذبوه على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وليًا للأمر، والخروج على ولي الأمر حرام، ولكنه لم يكن حرامًا عندما خرجت عائشة على إمام زمانها علي بن أبي طالب عليه السلام في واقعة الجمل!!

---

١ – سورة آل عمران 144

انقلب معاوية بن أبي سفيان على العهد الذي أبرمه معه الإمام الحسن عليه السلام، وظهر هذا الانقلاب في تمامه بعد أن نصب معاوية ابنه يزيد خليفة أمويًا من بعده[1]، وكان التطبيق العملي لما أسس له عندما أعلنت البيعة صراحة لابنه وكان من مفاتيح نجاحها إدخال الإمام الحسين عليه السلام فيها، ولكنه (روحي فداء تراب نعليه) قالها مجلجلة في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»[2]، قاعدة سياله أينما تحقق موضوعها.

وبعد أن بانت النوايا وقامت الحجة على القوم أتمها الحسين عليه السلام بتحركه إلى مكة المكرمة والمكوث فيها حتى موسم الحج، وأن يحرم حاجًّا ويحل احرامه في اليوم الثامن وكأنها بداية الصعقة التي يراد منها إفاقة المسلمين من أثر آلة الاستغباء والتخدير التي انطلقت عاملة في العقول والثقافات منذ يوم السقيفة واستمرت لعقود

١ - أرجو من القارئ الكريم ملاحظة الامتداد التاريخي لقضية التوريث في الحكم وكيف كان موقف المعصومين عليهم السلام منه.

٢ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج44 ص325

خمسة دمرت فيها ما دمرت من همم وعزائم، بل نالت حتى من الفكر والنظر..

الحسين عليه السلام يقطع حجه ويترك الدنيا بجاهها ووجاهتها متوجهًا نحو ١٧ ألف خطاب ورده من العراق يعلن أهلها فيها البيعة له والبراءة من يزيد، سار (صلوات الله وسلامه عليه) بخطى ثابتة وهو يعلم أنهم يتخاذلون عن نصرته، وأن هذه الرسائل ليست إلا لتثبت أخلاقية الانهزام التي كانت متفشية حينذاك في العقول والنفوس، سار وقد خلف فيمن بقى من أهله ثقافة الصمود وروحية الثبات في عبارات جاد بها وهو يهم بالرحيل..

«شاء الله عز وجل أن يراني مقتولًا مذبوحًا ظلمًا وعدوانًا، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ولا معينًا»

هذا مما قاله الإمام الحسين الشهيد عليه السلام لأم سلمة (رضي الله عنها).. كان يعلم بتفاصيل

ما يجري عليه وعلى أهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وهو الحسين سبط الرسول وابن البتول وفرخ المرتضى علي وأخ الإمام المسموم.. هو الحسين الذي طالما بَيَّنَ جَدُّهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقامه وأشهر مكانه عند الله سبحانه وتعالى.

قال لعلي (صلوات الله وسلامه عليهما): «يا علي إن الله تبارك وتعالى بشرني فيك ببشرى لما يبشر بها نبيًا قبلي، بشرني بأنك سيد الأوصياء، وأن ابنيك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة يوم القيامة»[1]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[2].

هو هو الحسين عليه السلام يقطع حجه متوجهًا لساحات المنية يلقي الحجة تلو الحجة ويرفع راية حق في عقب راية وهو ينادي بأعلى صوته: «وأني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم،

١ – بحار الأنوار – العلامة المجلسي ج٣١ ص٤٣٧
٢ – الفصول المهمة في معرفة الأئمة – ابن الصباغ ج٢ ص ١١٦٧

أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»[1].

إن من لا تهزه هذه الكلمات وهي تصدر من شخصية عظيمة ربانية نورية مثل الحسين عليه السلام فلا شك في أنه ميت قلبه مستعبد عقله، ولذلك كان خروج الحسين عليه السلام لكربلاء في ظروف موضوعية دقيقة جدًا قد شكل المنعطف الأهم في ثقافة الأمة، وبالفعل فرزت كربلاء الناس وفق معايير ثابتة لن تتغير أبدًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها، والعاقبة للمتقين.

١ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٤٤ ص ٢٣٩

الحياة في منعطف كربلاء

ليست الحياة التي ينادي بها القرآن الكريم هي هذه الحياة التي يقومها زفير وشهيق، ليس الأمر كذلك أبدًا، وهذا ما يؤكده المولى تبارك ذكره في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[1].

واضح أن الله تعالى يخاطب أحياء، ولكنه يأمرهم بالاستجابه لله والرسول إذا دعاهم لما يحييهم، فالحياة المقصودة غير الحياة التي تتوقف بتوقف دقات القلب.. إنها حياة العقل.. حياة الفكر.. حياة الروح والمعنى، لا حياة الشهوات والأموال والمناصب والقصور كما يروج له المفسدون.

---

١ – سورة الأنفال ٢٤

سؤال على طريق الفكرة:

هل من شخصية في زمن كربلاء أعظم من الحسين عليه السلام؟

لا شك في أنه عليه السلام الأعظم مطلقًا وفي كل أبعاد الإنسان، وبالرغم من ذلك انطلق مضحيًا بنفسه وبماله وولده وأهل بيته عليهم السلام من أجل طلب الإصلاح في الأمة، وهذا يعني أن الحياة لا تكون حياة من وجهة النظر القرآنية إلا إذا كانت الفضيلة مظهرًا في الأمة، وليس من شخص على الإطلاق يعز دمه على مصلحة الأمة حتى لو كان هذا النور الإلهي المتجسد في الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك فإن الحياة ليست حياتي أو حياتك أو حياتها، بل هي حياة المجتمع الإسلامي بالفضيلة والصلاح، وهو عين ما خرج الحسين عليه السلام قاصدًا إياه "إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي".

الرسالة إذًا: لا حياة للفرد في ظل موت الفضيلة في المجتمع الإسلامي، وأؤكد على (الإسلامي) لأن الحسين عليه السلام عينه بقوله (في أمة جدي)، ولذلك فإن طلب الإصلاح إذا كان

بسعي من المؤمنين فإنه ينبغي أن يكون بموازين ومعايير وقوانين الثقلين.. كتاب الله وعترة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا إصلاح بغير ذلك.



الإصلاح في الأمة أم في نظام الحكم؟

الباطل موجود والفساد موجود.. إنها السنة التي قام عليها هذا الوجود الدنيوي منذ أن قاسم الشيطان أدم وحواء فازلهما وكان السبب الذي دفع بهما خارج الجنة إلى الأرض، وهذا الحراك الإبليسي الشيطاني جاء في ضمن برنامج تحدٍّ سافر كان من تصريحاته ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[1].

وهذا الضلال والفساد على أهبة الاستعداد دائماً للانتشار والتوسع بسرعة وتركيز وتمكن أيضًا إذا غابت جبهة الممانعة عن الساحة،

١ – سورة الأعراف ١٦ – ١٧

فالمشكلة الحقيقية ليست في سقيفة بني ساعدة، كما وأنها ليست في معاوية ولا في ابنه يزيد، وليست في بني أمية ولا في بني العباس.. ولا في أي سلطة فساد أو قوة جور وظلم، ولكنها فيمن يعطل آيات مجاهدة هذه القوى قبل أن تظهر بوجهها القبيح مما أسس لثقافة الخنوع والضعف والهوان، وبالتالي خلق ثقافة الهزيمة بين مختلف شرائح المجتمع حتى العلمائية منها.

فلندقق قليلاً في الآيات القرآنية التالية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ

---

١ - سورة التوبة ٧٣

٢ - سورة النساء ٩٥

وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُم﴾[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

أما الوجه الآخر لهذه المفاهيم في الجهاد والحراك التضحوي في سبيل الله تعالى، فهو: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)**[3]، و**(أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾**[4].

إنها الحياة الحقيقية على طريق الدولة

---

١ – سورة محمد ٣١

٢– سورة الأنفال ٧٢

٣ – سورة البقرة ١٥٥

٤ – سورة النعكبوت ٢ – ٣

المثالية تحت راية الإمام المهدي المنتظر (روحي لتراب مقدم خدامه الفداء)، ولا حياة سواها لمن كان يرجو الله والدار الآخرة، وفي حال تخلف المؤمنون عن هذا الركب العظيم فالمآل كما أفاده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ البَلاَءُ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَالقَمَاءَةِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالإِسْهَابِ، وَأُدِيلَ الحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الجِهَادِ، وَسِيمَ الخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصَفَ أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هؤُلاَءِ القَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطَانُ.

وَهذَا أَخُو غَامِد قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ البَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَى المُعَاهَدَةِ،

فيَنْتَزِعُ حجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقلاَئدَهَا، وَرعَاثَهَا، ما تَمْتَنِعُ منْهُ إلاَّ بالاسْتِرْجَاعِ وَالاسْتِرْحَام، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافرِينَ، مَا نَالَ رَجُلاً منْهُمْ كَلْمٌ، وَلا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ من بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً.

فَيَا عَجَباً! عَجَباً ـ وَالله ـ يُمِيتُ القَلْبَ وَيَجْلِبُ الهَمَّ من اجْتِمَاعِ هؤُلاَءِ القَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرمَى: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلاَ تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلاَ تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ!

فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِم فِي أَيَّامِ الحَرِّ قُلْتُمْ: هذِهِ حَمَارَّةُ القَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هذه صَبَارَّةُ القُرِّ، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا البَرْدُ، كُلُّ هذا فِرَاراً مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ؛ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ!

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبّاتِ الحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكمْ مَعْرِفَةً ـ وَاللهِ ـ جَرَّتْ نَدَماً،

وَأَعقَبَتْ سَدَماً.

قَاتَلَكُمُ اللهُ! لَقَدْ مَلأتُمْ قَلْبي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْري غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُوني نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيي بِالعِصْيَانِ وَالخِذْلاَنِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبي طَالِب رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلْكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ.

للهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وهَا أَنَاذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ! وَلكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ."[1]

خطاب علوي شديد اللهجة حاد الكلمة، والسبب واضح في أن قضية الأمة تتجاوز كل المسميات الشخصية مهما عظم أمرها في الدنيا، فمن وجهة النظر الإسلامية لا احترام ولا تقدير لمن يتخاذل عن ممارسة الإصلاح في أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وليس الأمر في أنه لم يمارس الإصلاح، ولكنه في أن عدمه يعني انتشار الباطل وانتهاك الحرمات وتقويض عرى الإيمان

١ - نهج البلاغة - الخطبة ٢٧

في المجتمع الإسلامي، ولذلك فإن المعادلة قائمة على أن يضحي البعض من أجل حياة الكل، وعنوان (البعض) ينبغي أن يقوم به الكل، وهذا معنى الحياة في الرؤية القرآنية.. إنها تعني التكافل بين المؤمنين بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

لقد أراد الحسين عليه السلام إفاقة الأمة من سباتها وتفعيل روح العطاء في مفاصلها وتحريكها نحو رفض الظلم بمجاميع ألوانه والعمل الجاد على تغييره وإن أخذت الأحداثُ المؤمنين إلى طريق التضحية بنور إلهي كالحسين عليه السلام، ولكن –للأسف– لم تستوعب الأمة الزلزال الحسيني في كربلاء، وكما كانت النساء عندما سلبت حجولهن وقلائدهن لا يمتنعن بغير الاسترجاع والاسترحام، هكذا كان المؤمنون ولا يزالون في المواقع التي يكونون فيها غرضًا يرمى فتنتهك حرماتهم وتسلب حقوقهم وتقتل رجالهم وتسحق شبانهم.. ولا شأن لهم غير الاسترحام والاسترجاع وانتظار (الرحمة) من بشر!!

إن ما أراده الحسين عليه السلام من كربلاء أن يكون فكرها سيالًا ومفاهيمها متدفقة في

كل زمان ومكان، ولذلك فإن الأمة إن لم تكن قد استفادت من المنعطف الكربلائي فهذا لا يعني أن يعاد تفعيل السيرة ولكن من منطلقات موضوعية تتجاوز الإثارة المجردة للعواطف فتجعل منها وقودًا لتحريك الفكر والانطلاق من خلالها لصناعة الحدث كما صنعه الحسين عليه السلام والثلة المؤمنة ممكن كان معه في الأطروحة العملية لعناوين العزة والكرامة والمجد.

إن ممارسة الإصلاح في الأمة من منطلق قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[1]، وأيضًا بناء على تصريح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عمالكم أعمالكم، كما تكونون يولى عليكم»[2]، هو الطريق الصحيح لتقويم الأمور والنهوض بالأمة لمواجهة أخطار المبطلين والظالمين، ولذلك فإن أي حراك يندرج تحت عنوان (الثورة) ينبغي أن يكون مدفوعًا ببواعث إيمانية ناظرة إلى ما كانت عليه البصيرة الكربلائية، وما دون ذلك فلا شك ولا شبهة ولا ريب على

---

١ - سورة الرعد ١١

٢- مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي الشاهرودي ص 435

الإطلاق في أن مرده إلى باطل وإن بدى في ظاهر أمره خيرًا، ومنبع هذا الجزم هو قول الإمام الحسين عليه السلام: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي».. فالكلام في أمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكما أسلفت بأن آلة الإصلاح يجب أن تكون وفقًا للموازين والمعايير والقوانين المستلة من القرآن الكريم والعترة الطاهرة.



وهنا كلمات عشر

حجج باهرة نلقيها على أنفسنا مع كل إحياء نقيمه لذكرى أحد المعصومين عليه السلام، وخصوصًا عندما نحيي ذكرى كربلاء في كل عاشوراء من محرم الحرام؛ حيث إن لازم هذا النوع من الإحياءات أن نتحول بإصرار من حالة الكمون الفكري إلى ميادين العمل والجهاد في سبيل الله تعالى سلوكًا وممارسة، قولًا وفعلًا، وبحسب تقديري أن حسابنا يوم القيامة قد يكون أكثر شدة من حساب الآخرين ممن لا يعرفون السيرة النورية لأهل بيت العصمة عليهم السلام، فالعالِم على أية حال غير الجاهل..

كربلاء كانت ولا تزال كربلاء، ولذلك فإن الفرصة قائمة والجدير بنا استثمارها بجد صادقين، وعلى هذا الطريق أسجل بعض النقاط

التأصيلية التي أراها المحرك الحقيقي نحو النهوض في اتجاه كربلاء لمعاودة الانطلاق منها نحو التغيير الإصلاحي الحقيقي كما أراده إمامنا وقائد نهضتنا الحسين بن علي عليهما السلام..

أولًا: تفعيل ثقافة إعمار المساجد وتحويلها إلى ظاهرة اجتماعية يكون المتخلف عنها محل سؤال واستفهام، وخصوصًا صلاة الفجر لما لها من عظيم بركة وخير، وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الصلاة عمود الدين، وهي أول ما ينظر الله فيه من عمل ابن آدم، فإن صحت نظر في باقي عمله، وإن لم تصح لم ينظر له في عمل، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»[1].

هذا وقد كان لمعسكر الإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر من المحرم دوي كدوي النحل من أصوات المصلين والمتضرعين والتالين للقرآن المجيد.

ثانيًا: المبالغة في الاهتمام بإصلاح ذات البين والعمل الجاد على سحق البينيات الطفيلية

١ - دعائم الإسلام - القاضي النعمان المغربي ج ١ ص ١٣٣

التي طالما فتت عضد المجتمع وقوضت دعوات الخير فيه، وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[1]، ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»[2].

ثالثًا: نشر ثقافة القراءة والمطالعة في جميع الاتجاهات مع توفير رعاية علمية من العلماء وذوي الاختصاص، ويمكن على هذا الطريق تكثيف الندوات والمؤتمرات والاجتماعات الحوارية والمناظرات الواعية، والترويج لها بمختلف الوسائل والطرق، فالعلم باب كل خير، والجهل سببٌ أصلٌ في تردي الحال وتعاقب الانتكاسات، ويكفي في المقام الاستشهاد بأمر الله تعالى لرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفضل البشر بلا شك، فقد قال سبحانه ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[3].

رابعًا: التوقف فورًا عن ثقافة الدعوة

١- سورة الأنفال ٦٤

٢- الكافي – الشيخ الكليني ج٧ ص ٥١

٣ – سورة طه ١١٤

إلى الأشخاص، وهذه في حقيقتها ثقافة أموية ضالة، أما ثقافة القرآن الكريم فهي الدعوة إلى الحق والإصلاح، وقيمة الإنسان إنما يكتسبها من هذه المفاهيم، ولكنه يبقى متغيرًا قابلًا لردة أو انتكاسة، أما الثابت فللقيمة التي يجسدها الحق والإصلاح، وحتى لا يتعلق الناس بالأشخاص وينتهي بهم الأمر إلى التجيير ولي أعناق الحقائق حتى يجنبوا (الرمز) زلة قد تسقطه، كان من اللازم التركيز على الدعوة للقيمة لا لمن يمثلها، وهذا مما أراده الإمام الحسين عليه السلام عندما ضحى بنفسه من أجل قيمة الإصلاح الحقيقي في رسالة واضحة إلى كل من ألقى السمع وهو شهيد بأن البقاء للقيمة لا لمن يمثلها.. وهل اعظم من الحسين عليه السلام ؟؟!

خامسًا: التحول إلى تفعيل القرآن الكريم تفعيلًا موضوعيًا متحركًا، بدل ما نحن عليه اليوم من التعاطي مع الكتاب العزيز على أنه كتاب مثالي غير قابل للتطبيق، وبالتالي الاكتفاء بذكر قصصه وتفسير مفرداته والتباهي بقراءته ترتيلًا وتجويدًا، فمن وجهة نظري أن كل ذلك

جاء مواساة لضعف العمل الموضوعي بما جاء به القرآن المجيد، ويكفي حجة على ضرورة تفعيل السيرة القرآنية قوله تعالى ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[1].

وكذلك ينبغي لنا أن نفهم جيدًا بأن الاهتمام بزيارة مشاهد المعصومين عليهم السلام له بالغ الأهمية في تفعيل فكرهم تفعيلًا موضوعيًا ينبذ الهلاميات ويعظم الفكر والقيمة.

سادسًا: الاهتمام بالتأصيلات الفكرية والربط بين التاريخ وفلسفته، وهذا هو المفتاح الأوحد لقراءة الواقع بعين البصيرة واستشراف المستقبل بها، فقد قال تعالى ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[2] وعدو هذا التعاطي المتقدم مع التاريخ، التعامل مع حوادثه بسطحية خير ما فيها كثرة الصلوات على محمد وآل محمد عند سماعنا لقضية ما، ولعن أعدائهم عندما يأتي ذكرهم.!!

١ - سورة النحل ٨٩

٢ - سورة آل عمران ١٤٠

سابعًا: إن الجامع الموضوعي الفاعل لكل ما مرَّ هو استجماع كافة قوى الوجود العلمية والمعرفية في جامعة الدين، وتجنب فتنة الفصل بين الدين وباقي العلوم من سياسية وتربوية واقتصادية وما نحو ذلك، وليكن راسخًا في العلم بأن ما يريده الإسلام هو الأفضل من جميع النواحي وإن لم يوفر هذا الإفراط في الرفاهية والتي يوفرها النظام الرأسمالي اللا إنساني.. وقس على ذلك..

ثامنًا: الاهتمام بتأسيس اللجان والهيئات والمؤسسات في مختلف مجالات العمل الإسلامي المتقدم، وينبغي لنا أن ندرك أهمية ذلك في التحول من الفكرة الإصلاحية إلى ظاهرة اجتماعية تكون هي الغالبة، وهذا ما كان تأسيس موضوع هذا الكتاب عليه.. فلتكن عندنا مؤسسات وهيئات ولجان وظيفتها في التالي:

مهمة إعمار المساجد بصلاة الجماعة والتضرع إلى الله تعالى بالأدعية المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، مثل دعاء كميل، دعاء أبي حمزة الثمالي، والدعاء العظيم الموسوم بدعاء

الندبة، وغيرها كثير..)

مهمة السعي لنشر ثقافة التأليف وجمع التبرعات لطباعة آلاف بل ملايين الكتب ونشرها على مستوى العالم وفي مختلف المجالات.

مهمة ربط الأمة ربطًا علميًا وروحيًا بإمام الثقلين وصاحب الأمر الحجة بن الحسن (روحي لتراب مقدم خدامه الفداء)، كيف لا وهو المحور لمستقبل الخير والرفاه، ويكفي أن من يكون في ركبه فإنه عند الله تعالى ممن يرثون الأرض حين قيام الراية المهدوية ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[1].

مهمة متابعة أحوال المعوزين من المؤمنين ورفع تقارير دقيقة عنهم للعلماء الأفاضل الذين يتشرفون بحمل وكالات من مراجع الأمة (أدام الله ظلالهم فوق رؤوس العالمين).

مهمة التثقيف العقائدي بين المؤمنين وبين غيرهم من أتباع المذاهب والأديان الأخرى،

١- سورة القصص ٥

وليكن كل ذلك قربة إلى الله تعالى لا طلبًا لوجاهة أو ما شابه.

إننا في حاجة إلى الكثير من الهيئات واللجان والمؤسسات التي تعمل في خدمة الدين والمؤمنين، وهذا النوع من المشاريع يحتاج إلى همم عالية وعزائم لا تكسرها أحداث الزمان.

تاسعًا: تصحيح المفاهيم الموروثة الخاطئة وخصوصًا فيما جاء به القرآن الكريم وسيرة المعصومين عليهم السلام، وهذا عمل يحتاج إلى حكمة بالغة، إذ أن لغة التضليل والتكفير والتفسيق غالبة بين صفوف الناس، وما أن يتقدم أحد بطرق باب التصحيح المفاهيمي حتى تتناوله الألسن بألوان التهم وأشكال التسخيف، لذا فإن مثل هذه المهمة تحتاج من المتصدي لها أن يكون ذا صدر واسع وحكمة بالغة، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: "آلة الرياسة سعة الصدر"[1].

عاشرًا: تنشئة الأجيال القادمة على العقلية الناقدة الموضوعية، وترك التحسس منها، فالنقد

١- نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٢

مفتاح التطور، وهو لا يعني أبدًا النيل من أي شخصية مهما كان عنوانها ومهما كان موقف الناقد من أطروحاتها، فالنقد الموضوعي نعمة من الله تعالى ينبغي لنا احترامها وشكره سبحانه وتعالى عليها.

كانت عشرٌ أسأل الله تعالى أن يجعلها على طريق الخير والصواب، وأن يجنبني والمؤمنين مزالق الأخطاء ومهاوي الزلات، إنه سميع مجيب.

وفي الختام ملحمة..

حري بنا التوقف مليًا عند خطبة الرسول الأعظم عليه السلام في حجة الوداع وهو ممسك بحلقة باب الكعبة، ففيها من الأخبار ما يجعلنا نراجع أنفسنا مرات ومرات، لعلنا نرجع بالخير الذي أراده الله لعباده المتقين..

عن عبد الله بن العباس قال:

"حججنا مع رسول الله عليه السلام حجة الوداع، فأخذ بحلقه باب الكعبة وأقبل بوجهه علينا، فقال: "معاشر الناس، ألا أخبركم بأشراط الساعة؟

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: من أشراط الساعة: إضاعة الصلوات، واتباع الشهوات، والميل مع الأهواء،

وتعظيم المال، وبيع الدين بالدنيا.

فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء، مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره.

فعندها يليهم أمراء جورة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة، فيكون عندهم المنكر معروفا، والمعروف منكرا، ويؤتمن الخائن في ذلك الزمان، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق، وتتأمر النساء، وتشاور الإماء، ويعلو الصبيان على المنابر، ويكون الكذب عندهم ظرافة، فلعنة الله على الكاذب وإن كان مازحا، وأداء الزكاة أشد التعب عليهم خسرانا ومغرما عظيما، ويحقر الرجل والديه ويسبهما، ويبرأ صديقه، ويجالس عدوه، وتشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وتركبن ذوات الفروج على السروج، وتزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر

الصفوف، ويقل الاخلاص، ويؤمهم قوم يميلون إلى الدنيا، ويحبون الرئاسة الباطلة.

فعندها قلوب المؤمنين متباغضة، وألسنتهم مختلفة، وتحلى ذكور أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج وجلود السمور، ويتعاملون بالرشوة والربا، ويضعون الدين ويرفعون الدنيا، ويكثر الطلاقِ والفراق، والشك والنفاق، ولن يضروا الله شيئاً.

وتظهر الكوبة والقينات والمعازف، والميل إلى أصحاب الطنابير والدفوف والمزامير، وسائر آلات اللهو.. ألا ومن أعان أحدا منهم بشئ من الدينار والدرهم والألبسة والأطعمة وغيرها، فكأنما زنى مع أمه سبعين مرة في جوف الكعبة.

فعندها يليهم أشرار أمتي، وتنتهك المحارم، وتكتسب المآثم، وتسلط الأشرار على الأخيار، ويتباهون في اللباس، ويستحسنون أصحاب الملاهي والزانيات.. فيكون المطر قيظا، ويغيظ الكرام غيظا، ويفشوا الكذب، وتظهر الحاجة، وتفشو الفاقة.

فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله فيتخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقهون لغير الله، ويكثر أولاد الزنى، ويتغنون بالقرآن، فعليهم من أمتي لعنة الله.

وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من الأمة، ويظهر قراؤهم وأئمتهم فيما بينهم التلاوم والعداوة، فأولئك يدعون في ملكوت السماوات والأرض الأرجاس والأنجاس.

وعندها يخشى الغني من الفقير أن يسأله، ويسأل الناس في محافلهم فلا يضع أحد في يده شيئا.

وعندها يتكلم من لم يكن متعلما.

فعندها ترفع البركة، ويمطرون في غير أوان المطر.

وإذا دخل الرجل السوق فلا يرى أهله إلا ذاما لربهم، هذا يقول: لم أبع، وهذا يقول: لم أربح شيئا.

فعندها يملكهم قوم إن تكلموا قتلوهم،

وإن سكتوا استباحوهم. يسفكون دماءهم، ويملؤون قلوبهم رعبا، فلا يراهم أحد إلا خائفين مرعوبين.

فعندها يأتي قوم من المشرق وقوم من المغرب، فالويل لضعفاء أمتي منهم، والويل لهم من الله. لا يرحمون صغيرا، ولا يوقرون كبيرا، ولا يتجافون عن شئ. جثتهم جثة الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين...

فلم يلبثوا هناك إلا قليلا، حتى تخور الأرض خورة حتى يظن كل قوم أنها خارت في ناحيتهم، فيمكثون ما شاء الله، ثم يمكثون في مكثهم، فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها، (قال : ذهبا وفضة) ثم أومأ بيده إلى الأساطين.. قال: فمثل هذا..

فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة، ثم تطلع الشمس من مغربها..

معاشر الناس، إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، فأودعكم وأوصيكم بوصية فاحفظوها.. إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله

....

وعترتي أهل بيتي، إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا..

معاشر الناس إني منذر وعلي هاد، والعاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين"[1].

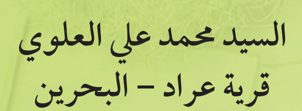
أقول: هذا رسول الله عليه السلام يلقي علينا الحجة كاملة ولا يترك لمتعذر عذرًا، ففي خطبته الصريحة فرز واضح وتصنيف جلي، وما على الواحد منَّا إلا أن يكون صادقًا مع نفسه عندما يعرضها على ما قاله (صلوات الله وسلامه عليه وآله الطاهرين).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
محمد علي العلوي
قرية عراد - البحرين
السابع من شهر صفر ١٤٣٣ هجرية

١- مستدرك الوسائل - الميرزا النوري ج ١١ ص ٣٧٢ - ٣٧٤

الفهرس




السيد محمد علي العلوي
قرية عراد – البحرين

www.alghadeer-voice.com
facebook:http://www.facebook.com/al.alawi.14
twitter: alalawi14
skype: malalawi14
gmail account: s.alalawi14@gmail.com